



المحتوى العربي على الإنترنت أي مستقبل رقمي للعربية؟

عاصف الخالدي / الأردن

العام 2000، ما زال المحتوى العربي ضعيفاً، وما تزال المواد المختلفة أياً كانت، المكتوبة بالعربية، بالكاد تفيد العرب أنفسهم، وبالكاد تصل إلى العالم، غير أنه توجد تجارب مختلفة في هذا السياق، خصوصاً في الأردن، وربما يمكن لها أن تكشف عن نقاط ضعف وقوة المحتوى المكتوب بالعربية على الإنترنت.

موت المصادر

بدايةً، يمكن القول إن المحتوى المكتوب باللغة العربية، يندرج تحت أغراض مختلفة، تنحصر أساساً، بمضامين الصحافة والميديا، وما نشره هي والمستخدمون العرب على وسائل التواصل الاجتماعي كذلك، وتوجد المحتويات التجارية والاقتصادية والحكومية للمؤسسات المختلفة

لا يُمكنُ اليوم النظر إلى المكانة العالمية للفكر واللغة والتاريخ، دون النظر إلى مدى مساهمة حضارةٍ معيّنة بهذه المكانة، في محتواها الخاص على شبكة الإنترنت، واليوم أيضاً، تُعدُّ الإسهامات الفردية والابتكارات الخاصة، وتلك الأخرى المهنية والمؤسسية، التي تعمل جميعاً على إثراء المحتوى مهمةً جداً، لأنَّ لنتائج قوتها فوائد عظيمة، من أبسطها العلاقات والتجارة والمكاسب الاقتصادية الناتجة عن التعامل مع هذا المحتوى.

وعربياً، فإننا نعاني منذ عقود على عدّة صُعد، فالواقعي والعملي يشهد سجالاتٍ بشأن اللغة العربية في المجال العام وفي وسائل الإعلام والصحافة وغيرها، بينما في المجال الرقمي وعالم الإنترنت الذي تفجرت وسائله بقوة بعد



أما وسائل التواصل الاجتماعي وباختصار، فإنها تستند عمومًا، على فكرة الفردية كسلعة، حيث يملك كل مستخدمٍ (حريّة) نشر ما يشاؤه من صور أو مقاطع فيديو أو آراء ونصوص على صفحته الخاصة في وسائل التواصل الاجتماعي، كما إنه يستقبل كذلك ما يشاء من خلال الصفحات الأخرى التي يتفاعل معها. مع قدرة الشركات الكبرى مثل (فيسبوك) على جمع بيانات كل فرد ووضعها ضمن مجموعة بياناتٍ ضخمة "Big Data" يمكن توظيفها لأغراض تجاريةٍ ولغيرها.

إذن، وفي ظلّ ما سبق، يمكن الحديث عن أنّ

بأنواعها، وأخيرًا، هناك محتويات علمية وتعليمية كذلك.

الأولى، المتعلقة بالصحافة والميديا، هي ذات رؤية معقدة، لأنها لا تفصح عن نتائج مباشرة حول قيمة المحتوى وتأثيره، بل إنّ المضامين السياسيّة والترفيهيّة والخبريّة وغيرها، غالبًا ما تأخذ طابع الاستهلاك اليومي، وتعمل على أهدافٍ تتعلق بتحقيق ربحٍ للمواقع الرقمية، سواء من حيث أعداد القراء والمتابعين، أو من حيث كسب نوعٍ من (الجمهور) الذي تحاول وسائل الإعلام تشكيل رأيه بحسب مصالحها، وهذا طبيعي.

ويضع الموقع في زاويته التعريفية (من نحن؟) أنه أكبر موقع عربي على شبكة الإنترنت، وربما أنّ التأكد من هذه الجملة ليس صعباً، فهو فعلاً موقع ضخم، ولا تكمن المشكلة فيه وفي طريقة عمله، بل بالبيئة التي نشأ فيها الموقع، والتي تجعله مضطراً لنقل المعرفة فقط، وعلى الرغم من أهمية هذه المعرفة، إلا أنه لا يوجد ضمن بيئة يتم فيها إنتاج المعرفة، مما يعني أنّ المعرفة المنقولة لن تخدم -بالكاد- سوى جزء من الجمهور العربي. الذي بدوره يلجأ أصلاً لمصادر بلغات أخرى لتحصيل المعارف الجديدة وقديمها، مما يجعل دوره محصوراً في هذه المهمة.

وهذا بالطبع، لا يضير الموقع، الذي يُعدُّ مبادرةً رياديةً عربيةً مهمةً، هو ومواقع أخرى تقوم بأعمالٍ شبيهة كموقع "الموسوعة العربية على الإنترنت" وهو موقعٌ محليٌّ أردنيٌّ كذلك.

العالم الرقمي مرئياً ومسموعاً

هاتان التجربتان الرائدتان في الأردن، ليستا وحيدتين، ففي الدول العربية عديد من التجارب الشبيهة، التي تطوّرت وصارت تقدّم مضامين مهمةً أخرى، فموقع دار "هنداوي" في مصر مثلاً، يقدم كتباً رقميّةً مجانيّةً للقراء، معظمها عربي، وبعضها مترجم، منها ما هو تاريخي قديم ومنها ما هو حديث وفي شتى المواضيع، وتوجد غيره مواقع لمكتبات عديدة، مقروءة بصيغ مختلفة، أو مسموعة، ومنها ما هو مجاني أو مدفوع الثمن.

العرض السابق لمجموعة من المضامين التي تشكل أنواعاً من المحتوى على الإنترنت، يمكن لها أن تُحدث تأثيراً ثقافياً واقتصادياً وسياسياً كبيراً في حال كان المحتوى قيماً وكبيراً، وهو ما يفتقده المحتوى العربي على الإنترنت تحديداً بسبب ما ذكر قبلاً عن طبيعة المحتوى المكتوب بلغةٍ تنقل موادّ وأفكاراً معظمها هو عرضة للاستهلاك اليومي، لا من أجل التوثيق والبحث والتطوير، أو الإفادة العلمية التشاركية الكبيرة. أو التي تغطّي مساحاتٍ جغرافيةً واسعة وعالمية من خلال الإنترنت.

ولأخذ مثالٍ واضح على ما ذكر مسبقاً، خصوصاً أنّ الدراسات تشير إلى كون المحتوى العربي على الإنترنت لا يتجاوز كمّاً وتأثيراً حازم (4%) على مستوى العالم، فإنّ تجارب رائدة، في الأردن تحديداً، يمكن تناولها في هذا السياق.

مؤسسات تعليمية ومعرفية

منذ تأسيسه عام 2010، يعمل موقع "موضوع" على ما يسميه "مشاركة المعرفة من خلال اللغة العربية"؛ حيث يعتمد الموقع على مجموعة كبيرة من الكتاب الذين يكتبون مقالاتٍ موثقةً عن مواضيع علمية ودراسية وفيزيائية وثقافية كثيرة ومتنوعة، على أن تتم عملية التوثيق من خلال مصادر عالمية معتمّدة علمياً وموثقة باللغة الإنجليزية، من أجل ترجمة هذه المعارف ونقلها إلى اللغة العربية ليستفيد منها المتخصصون والطلاب والقراء جميعاً.

والكتب علمياً وثقافياً، ومن ثم توثيقها وتحميلها على الإنترنت، وهي مهمة مؤسسات مختلفة (كالجامعات)، تُعدُّ عملية غير منظمة أو متاحة بشكل واسع في العالم العربي.

ولعلَّ الفقر في التوثيق وإثراء المحتوى، يقود لمشكلاتٍ عديدة، ويكشف عن مشكلاتٍ عديدة، من أهمها وجود دليلٍ على ضعف الأعمال البحثية والعلمية العربية التي يمكنها أن تضيف إلى العالم، وتجبر الباحث على قراءتها بالعربية أو ترجمتها للغاتٍ أخرى على الأقل، كما إنها تدلُّ على فجوةٍ تتسع مع العالم عموماً، بسبب عدم القدرة على تنظيم البيانات وتحليلها، وهو وما يسبب تأخرًا في عمليات التواصل الاقتصادي والمعرفي بشكلٍ عام. ناهيك عن فقدان الكثير من البيانات المهمة والمؤثرة في دراسة وفهم العديد من القطاعات الاجتماعية، مقابل انتصارٍ للاستهلاكيّ واليوميّ وغير المفهرس على شبكة الإنترنت.

ويبدو أنَّ مسألة المحتوى على الإنترنت، ليست بسيطة، ففي ضوء ما تقدّم، تشكّل قيمة البيانات العربية على الإنترنت مقياسًا للتقدّم، وربما يمكن عدّه مقياسًا حضاريًا وعمليًا مهمًا، يحتاج إلى التفكير جدّيًا في تطويره ورفع قيمته. حتى إنَّ شيئًا من الهوية البشرية اليوم، لآمة من الأمم، صارت رهينةً -ولو في جزءٍ منها- للمحتوى الذي يعبر عنها وعن طموحاتها وقدراتها من أجل الإفادة والتعريف بالذات والحفاظ عليها أيضًا، والتفاعل بشكلٍ قويٍّ ومفيد مع العالم ■

وبالطبع، لا يمكن تجاوز دور المرئي على شبكة الإنترنت، فمقاطع الفيديو والأفلام الوثائقية والبرامج المسجلة وغيرها الكثير، يضمها موقع شهير مثل "يوتيوب" ومواقع أخرى، تشكل كذلك نسبةً من المحتوى الموجود على الإنترنت، ومنه ما هو عربي بالطبع.

إذن، ليس المحتوى مكتوبًا أو تاريخيًا وتوثيقًا فقط، فللتوثيق وتوسيع المحتوى أشكال مختلفة منها المرئي والمسموع. لكن المهم يكمن في مدى تأثير هذا المحتوى ومدى الإفادة منه عربيًا وعالميًا. وهنا يبدو جديرًا بالذكر؛ أنه ووفقًا لآخر إحصائية طرحها موقع قناة "الجزيرة" الإخباري بتاريخ 12/7/2017، يذكر أنَّ 75% من المحتوى العربي على الإنترنت تسهم فيه الأردن بجهود مشاريع مثل "موضوع" وسواه، وأنَّ نسبة المحتوى العربي على موسوعة "ويكيبيديا" العالمية، لا يتجاوز عربيًا مقدار 1%. كما يوجد نقص وعدم تنظيم في تحميل المؤلفات العربية على الإنترنت، قديمها وجديدها. أمّا مسألة (القص واللصق) وتكرار المحتوى، وسرقته أحيانًا في ظل غياب رقابة رقمية فعّالة في عالمنا العربي، فإنها تسهم في تراجع المحتوى العربي على الإنترنت.

وعلى الرغم من أنَّ العالم العربي يضمُّ أكثر من 5.1% من سكان العالم، إلا أنه ليس فعّالًا معرفيًا، خصوصًا من ناحية المحتوى العربي الرقمي، بل ويوصف بأنه تحت خط الفقر معرفيًا، لأنَّ عمليات إنتاج المعرفة والبحوث